محاضرات في المدارس اللّسانيّة:

المحاضرة الأولى: مدخل

1. مفهوم النظرية:

مجموعة من الآراء والأفكار المرتبطة بمجال أو مبحث فكري معيّن، يسعى أصحابها إلى تحديد القواعد والقوانين العامة التي تخص مجال بحثهم، وتتسم النظرية بمجموعة من الخصائص أهمها:

- وضوح أفكارها وترابطها.
- خلوّها من التناقض.
- قيامها على نظرية في المعرفة؛ فالنظريات على اختلافها تُستنبط اعتمادا على نظريات سابقة في المعرفة.
- استنادها على فلسفة متينة وراسخة.
- إمكانية استنباط القواعد والقوانين منها، اعتمادا على المنهج الاستقرائي.
- إمكانية تعميم أفكارها على العناصر موضوع الدراسة.

إنّ الاهتمام بالنظرية ليس حكراً على اللّسانيات فالتنظير مرتبط بالمجالات جميعها على اختلافها، فلا نجد أيّ علم أو معرفة إنسانية غير قائمة على نظرية ما.

من هذا المنطلق نتأكد أنّ النظرية أساس الإنتاجات البشرية جميعاً علوما كانت أو فنوناً، وهي تأتي لتعزز وجود هذه الإنتاجات وتبحث في ماهيتها

2. مفهوم الحلقة: يُقصد بمصطلح حلقة (cercle) مجموعة من الباحثين والمفكرين واللّسانيين الذين يشتغلون في مجال اللّسانيات ويتبنون الأفكار والآراء نفسها، وينتمون إلى جنسية واحدة وينشطون في بلد واحد، وتتميّز بقلّة عدد أعضائها مقارنة بالمدرسة.

3. مفهوم المدرسة: أمّا المدرسة (école) فهي مجموعة من الباحثين والمفكرين واللّسانيين الذين يبحثون في مجال اللّسانيات ويتبنون الأفكار والآراء نفسها لكنهم من جنسيات مختلفة وينشطون في بلدان مختلفة وتتميّز بكثرة المنتمين إليها.

المحاضرة الثانية: لسانيات سوسير

فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure): عالم لغوي سويسري، ولد سنة 1857 وتوفي سنة 1913، أشهر باحث لساني في العصر الحديث، كانت له مجموعة من الأبحاث الفردية والمشتركة في مجال اللّغات، خاصة اللغات الهندية الأوروبية، ذاع صيته بعد أن نشر بعض طلبته لمحاضرات ألقاها عليهم في الجامعة تحت عنوان: محاضرات في اللّسانيات العامة، بعد وفاته سنة 1916، كانت هذه المحاضرات فاتحة لعدد كبير من الأبحاث في تخصصات كثيرة عبر العالم، منها النظرية الأدبية والنقد الأدبي.

1. تعريف اللغة:

يُحدّد **ابن جنّي** اللغة بقوله: "إنّها أصواتٌ يعبّرُ بها كلّ قومٍ عن أغراضهم.

ويعرّفها **إدوارد سابير**: "هي وسيلة إنسانيّة... لتواصل الأفكار والانفعالات والرّغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدُر بطريقة إراديّة.

ويعرّفها **فوندرس:** "الصورة المثاليّة التي تفرض نفسها على جميع الأفراد في مجموعة واحدة.

ويعرّفها أيضا بقوله: "هي نتاج طبيعي للنشاط الإنساني نتيجة لتطابق ملكات الإنسان مع حاجياته الاجتماعية.

2. تعريف اللسانيات (علم اللسان):

هي الدراسة العلميّة الموضوعيّة للألسن البشريّة من خلال وصف الظواهر اللسانيّة العامّة، وهي علمٌ يقوم على الموضوعيّة والملاحظة والاستقراء والتحليل والإحصاء والاستنباط والتعليل...

وهي علمٌ استقرائيّ تجريبيّ يقوم على الملاحظة والفرضيات والمسلّمات والتجارب، ويُعنى بالظواهر اللغويّة .

تسعى اللسانيات إلى دراسة اللغات الإنسانيّة منطوقة أو مكتوبة في زمن معيّن، وذلك لتحديد خصائصها العامّة.

لا تهتمّ اللسانيات بتصحيح الكلام والكشف عن أخطائه وانحرافاته ولا تضع القواعد للتمييز بين الجيّد والرديء، إنّما تهتمّ بدراسة اللغة في حدّ ذاتها ولذاتها، للكشف عن خصائصها ووصف آلياتها، وذلك للحصول على المبادئ العامّة التي تقوم عليها الألسن البشريّة، وما يهدف إليه الدّارس اللساني هو وصف الظاهرة اللغويّة كما حدثت فعلا، لا كما يجب أن تكون عليه، أي؛ دون اعتبار جماليّ أو دينيّ للغات المدروسة (الموصوفة)، وعليه، فاللسانيات هي الدراسة العلميّة الموضوعيّة للسان البشريّ.

3. إشكالية المصطلح:

تعاني العلوم الإنسانيّة من إشكاليّة تحديد مصطلحاتها وضبطها، واللسانيات بدورها تعاني من هذا الإشكال، وبصفة خاصّة، حيث قال **تمام حسان**: "إنّه في الندوة التي عُقدت في تونس سنة 1978م، كان الاتّفاق بين المهتمّين بالدراسات اللغويّة على تسمية علم اللغة باسم اللسانيات".

إنّ المصطلحات العربيّة التي تدلّ على هذا العلم متعدّدة، منها: علم اللسان، علم اللغات، الألسنيّة، الألسنيات...

وحسب **جورج مونان**، فإنّ أوّل استعمال لكلمة اللسانيات Linguistiques كان في عام 1833م، أمّا كلمة اللسانيّ Linguiste أو الدّارس اللسانيّ فقد استعملها **غيغور** سنة 1916م، في مؤلّفه (مختارات من أشعار الجوّالة).

4. علم اللسان وعلم اللغة:

اعتُمد مصطلح علم اللغة حديثًا للدلالة على علم اللسان، وقديما كان علماء العرب يُطلقونه على جزءٍ من علم اللسان العربي الذي كان يضمّ علم اللغة وعلم الكلام، حيث كان يهتمّ بما هو موجود في اللغة، من ألفاظ أو مادّة لغويّة، وفي المقابل، كان علم النحو يهتمّ بالصياغة التي تمتاز بها اللغة.

استُعمل هذا المصطلح (علم اللغة) عند اللغويين العرب، للدلالة على المفهوم الذي يُعبَّر عنه باللغة الأجنبيّة حديثًا بمصطلح lexicologie أي؛ علم المفردات.

5. فقه اللغة:

كان يدلّ قديما هذا المصطلح على دراسة الفوارق اللغويّة بين الوضع والاستعمال، واهتمّ أصحابه بالمعاني الأصليّة للكلمات، وهي المعاني المتّفق عليها، واستعمال هذه الكلمات بالفعل، واقترب مصطلح فقه اللغة حديثًا من مصطلح الفيلولوجيا، التي تُعنَى بدراسة اللغة من خلال النصوص القديمة وتهتمّ بالأزمنة المختلفة للنصوص، وتعتبر دراسةً لغويّة تاريخيّة، وقد عُرفت الفيولولوجيا في القرن التاسع عشر، بعلم اللسان التاريخي.

مصطلحات لسانيّة

1. اللسان والكلام:

اللسان: يعرّف **فرديناند دي سوسير** اللسان على أنّه: نظامٌ من الأدلّة اللغويّة المصطلح عليها في الجماعة اللغويّة الواحدة، ويشكّل بذلك الوضع المتّفق عليه، ويعتبره مخزونًا في أذهان الأفراد الذين ينتمون إلى الجماعة اللغويّة نفسها، ويُوجد هذا اللسان تقديريّا في أذهان كلّ أفراد الجماعة، ويوجد في التّمام عند الجماعة اللغويّة ككلّ، فهو يمثّل الجانب الجماعي للغة، ويختلف الأخذ من اللسان من فردٍ لآخر حسب قدرات كلّ فردٍ في استيعاب هذا اللسان، وحسب أغراضه.

فهو رصيدٌ مستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع لغويّ واحدٍ، بفضل مباشرتهم للكلام، وهو نظام يُوجد تقديريّا في أدمغة مجموعة من الأشخاص، لأنّ اللسان كلّه لا يوجد عند أحدهم، بل وجوده تامّا لا يحصل إلّا عند الجماعات.

الكلام: التأدية الفردية للسان حسب قدرات الفرد وحاجاته التعبيريّة، وتتجسّد في عمل الفرد على التركيب للّسان البشريّ تركيبات مختلفة، فالكلام يختلف من فردٍ لآخر، ويمثّل الجانب الفردي للغة، فهو عمليّة فيزيولوجية يقوم بها الفرد للتعبير عن أغراضه وحاجياته.

فاللسان هو الجانب المشترك بين الأفراد، يُؤدَّى تأديات مختلفة على مستوى الكلام.

2. الدليل اللغوي:

هو كيانٌ نفسي ذو وجهين، وجه الأوّل هو الدّال، والوجه الثاني هو المدلول، والدّليل اللغوي لا يربط بين الشيء في الواقع وبين اللفظ، بل يربط بين صورةٍ مفهوميّة ذهنيّة، وصورةٍ صوتيّةٍ، أي؛ يجمع مفهوم الشيء كما نتصوّره في الذهن، بصورة صوتيّة.

والصورة الصوتيّة ليست الصوت المادّي، بل انطباع ذلك الصوت في النفس، أثناء استحضار المفاهيم التي تقرن الصورة الصوتيّة بالصورة المفهوميّة على مستوى الذهن، دون النطق باللفظ أحيانا.

أثناء الكلام ينتقل الصوت من المتكلّم إلى أذن السامع، ثمّ إلى الذهن ليُحدث انطباعًا في النفس (الصورة الصوتية)، وتقترن بما يقابلها من صورةٍ مفهوميّة على مستوى الذهن، لذلك يُعتبر الدليل اللغوي كيانا نفسيّا.

3. خصائص الدليل اللغوي:

- **الاعتباطيّة:**

يُقصد باعتباطيّة الدليل اللغوي؛ أنّ الدّال غير مرتبط بصفة طبيعيّة مع المدلول، أي ليس هناك علاقة تلازم منطقيّ أو طبيعي بينهما، فالعلاقة بين الدّال والمدلول علاقة اعتباطيّة، فمفهوم الشجرة مثلا في الدليل اللغويّ (شجرة)، لا تربطه أيّ علاقة داخليّة بتتابع الأصوات الآتية: (ش، ج، ر، ة) والتي تشكّل الدّال والمدلول الذي ليس فيه ما يوحي إلى التسمية بشكل معيّن، إنّما فُرضت مصطلحات معيّنة فرضًا، فالأمر يتعلّق باختيار مصطلحٍ ما اختيارا حرّا من جملة ما تقترحه اللغة وتسمح به من إمكانات للاصطلاح.

إذا كانت العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية في بداية الاصطلاح حسب **سوسير**، فإنّه بعد الاستعمال، اي بعد اقتران الصورة المفهوميّة (المدلول) بصورتها الصوتية (الدّال)، تتحوّل العلاقة بينهما إلى علاقة إجباريّة (الواحد يستلزم الآخر)، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فكلّما نطقنا بالدّال، تصوّرنا معه المدلول، وكلّما فكّرنا في المدلول، استحضرنا صورته الصوتيّة، وهو الدّال، ولا يمكن للفرد المتكلّم أن يغيّر في الدليل اللغوي بعدما اصطلحت عليه الجماعة التي ينتمي إليها.

وينتج عن اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول قابليّة التغيير وقابلية عدم التغيير، حيث إنّ العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، فبالإمكان تغيير اسم المدلول، أي الدال، لأنّه لا يوجد أيّ قانون يمنعنا من ذلك، كما يمكن عدم التغيير لأنّه لا يوجد مبرّر لذلك التغيير، فنقول أنّ قوانين التسمية الأولى خاطئة، فيجب تغييرها حسب قوانين صحيحة.

- **خطيّة الدّال:**

إنّ الدوال في اللغة تتمثّل في امتداد، أيّ في شكل خطّ أثناء الكلام، فالعناصر اللغوية تتتابع في شكل سلسلة، فلا يمكن النطق بصوتين مختلفين أو بكلمتين مختلفتين في آنٍ واحد.

وتبرز هذه السمة في الدّوال، ورسمها بالكتابة، فعلى مستوى السمع/ النطق يأتي الكلام في خطّ الزمان، وعلى مستوى الرؤية/القراءة يأتي الكلام في خطّ المكان، بواسطة الكتابة، فكلام الفرد يأتي في سلسلة على شكل خطّ، لهذا يتميّز الدّال بصفة الخطيّة.

- **العلاقات السياقية والعلاقات الترابطيّة:**

إنّ الاختلافات القائمة بين عناصر اللغة تدفع المتكلّم إلى عقد مجموعة من العلاقات التي تقع في نوعين رئيسيين، ويمثّلان صورتين مختلفتين، من صور نشاطها الذهني، وقد حدّد **سوسير** نوعين من العلاقات هي:

العلاقات السياقية: تقوم الكلمات على صفة الخطيّة في السلسلة الكلامية، إذ تنتظم الوحدات اللغويّة على شكل ما يسمّى بالعلاقات السياقية، والسياق يتكوّن من وحدتين متتاليتين أو أكثر، وهذه الوحدات داخل سياقها، لا يتحدّد دورها إلّا بفضل علاقاتها بما سبقها أو بما هو لاحق أو بكليهما معا، حيث يرتّب الفرد كلامه بهذه العلاقات السياقية، وبالشكل الذي يراعي فيه ما نطق به من وحدات، وبما يليها من وحدات أخرى.

والعلاقات السياقية علاقات حضوريّة تقوم على وحدتين أو أكثر متواجدة ضمن سلسلة موجودة بالفعل، إذ نستحضرها ونحن نجسّد مجموعة من العلاقات السياقية من الوحدات التي نستعملها.

العلاقات الترابطية: نلاحظ أنّ بعض الوحدات اللغويّة خارج الكلام، ترتبط ببعضها بعض على مستوى الذهن بفعل عامل مشترك، ممّا يؤدّي إلى عقد نوع آخر من العلاقات الترابطيّة فكلمة (تعليم) تثير في الذهن بصورة عضويّة مجموعة من الكلمات الأخرى من قبيل: (علِم، اعلَم، نعلم، معلّم...).

فكلّما نطقنا بكلمة تبادر إلى الذهن مجموع الكلمات التي تشبهها في جانب أو في آخر، ولا يقتصر الرّبط على التقريب بين الوحدات التي تشترك في بعض الخصائص، بل يدرك الذّهن

طبيعة العلاقات القائمة بينها في كلّ حالة من الحالات، ويُنشئ عددا من السلاسل الترابطية يوافق عددا من العلاقات المختلفة والعناصر المشتركة مثل: الصيغ الصرفية أو الدلاليّة.

إنّ الربط بين الكلمات يختلف عن الصورة الأولى (العلاقات السياقية) وتكون صورة أخرى من التنسيق بين العناصر، وتُحدَّد في العلاقات الترابطية التي تجمع عددا من الوحدات غيابيّا ضمن سلسلة وهميّة على مستوى الذهن في مجال الذاكرة.